التعليق الحثيث على الأربعون حديث

الحديث الثاني[١]

عَنْ عُمَرَ-رضي اللّه عنه- أَيْضًا قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى اللّه عليه وسلم- ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ -صلى اللّه عليه وسلم- . فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى اللّه عليه وسلم- الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إنْ اسْتَطَعْت إلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْت . فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْت. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟. قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ).

---

(١) https://soundcloud.com/tahilsunnah/2a-1

الوجه الأول:

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم من طريق كهمس عن عبد الله بن بُريدة عن يحيى بن يعُمر عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه، وأخرجها البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه باختلاف ألفاظٍ يسيرةٍ عن حديث عمر ﷺ.

الوجه الثاني:

هذا الحديث له أهمية كبيرةٌ جداً وقال عنه ابن رجب -رحمه الله-: **(هو حديث عظيم جداُ يشتمل على شرح الدين كله)**، ولهذا قال ﷺ في آخره **(هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)**.

الوجه الثالث:

في هذا الحديث فسَّر النبي ﷺ الإسلام بالأعمال الظاهرة فقال: **(أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)**، وفسَّر ﷺ الإيمان بالاعتقاد

فقال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**، وهنا يقع إشكال عند بعض الناس من جهة أن المعلوم والمستقر عند أهل

السنة والجماعة أن الإيمان ليس مجرد اعتقاد بل هو أيضاً قولٌ وعمل وللإجابة عن هذا الاستشكال نقول أولاً: لابد من النظر إلى مجموع الأدلة وليس إلى دليلٍ واحد ومجموع الأدلة الشرعية تُبين بشكل واضح أن الأعمال داخلةٌ في الإيمان وأن الإيمان ليس مجرد اعتقاد ومن ذلك قول الله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ [البقرة:143]، والإيمان المقصود به في الآية هو الصلاة يعني: صلاة المسلمين في أول الإسلام إلى بيت المقدس الذين توفوا [ماتوا] قبل أن تُحوَّل القبلة سأل ناسٌ عن حالهم مع هذه الصلاة قبل تحويل القبلة فقال الله سبحانه وتعالى ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ [البقرة:143]، وأيضاً قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال (**الإيمان بضع وسبعون شعبةً، فأعلاها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**)، ومن المعلوم أن إماطة الأذى عن الطريق هو عمل وليس اعتقاد وهو شعبةٌ من شعب الإيمان، قال ابن رجب –رحمه الله–:

(**والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قولٌ وعملٌ ونية وأن الأعمال كلها داخلةٌ في مسمى الإيمان وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكاراً شديداً**)، والأصل الثاني في الإجابة عن هذا الاستشكال: لابد أن يُعلم أنه قد ورد في السنة حديثٌ صحيح فسَّر فيه النبي ﷺ الإيمان بالعمل الظاهر بنفس تفسير الإسلام في حديث جبريل، وذلك أن البخاري ومسلم قد أخرجا من حديث ابن عبَّاس في قصة وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال

لهم: (**أتدرون ما الإيمان بالله؟ قال: أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وصومُ رمضان وأن تؤدوا خُمُساً من المغنم**)، هذا الحديث يثبت لنا صحة العبارة المشهورة عند أهل العلم في الإيمان والإسلام أن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترا وإذا افترقا اجتمعا والمقصود إذا اجتمعا في موضعٍ واحد يعني: اجتمع ذكرهما افترقا من جهة المعنى وصار كل واحدٍ منهما له معنى وإذا افترقا يعني: كل واحد منهما ذكر وحده اجتمعا من جهة المعنى فصارت كل لفظٍ من ألفاظ الإسلام والإيمان يدل على الإسلام والإيمان، قال ابن رجب –رحمه الله–: (**وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف فيقال إذا أُفرد كلٌ من الإسلام والإيمان بذكرٍ فلا فرق بينهما حينئذٍ، وإن قُرن بين الاثنين كان بينهما فرق والتحقيق في الفرق بينهما، أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له وذلك يكون بالعمل**).

الوجه الرابع:

ذكر النبي ﷺ الإيمان بالأركان الستة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذا الإيمان يشمل الإيمان المجمَّل والإيمان التفصيلي، ومعنى الإيمان التفصيلي هو أن تؤمن بتفاصيل ما جاء في الكتاب والسنة فيما يتعلق

بهذه الأركان يعني: أن تؤمن بالله وتؤمن بوجوده وأنه المتفرد وحده بالربوبية والإلهية والأسماء والصفات، وتؤمن بأن الملائكة موجودين ومخلوقون من نور، وعددهم كثير

لا يحصيهم إلا الله، ونؤمن بما علمنا من أسمائهم وأما ما لا نعلمه نؤمن به إجمالاً، ونؤمن بالكتاب السماوية المنزلة من عند الله حقاً، ونؤمن بما علمنا من أسماءها كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وأما ما لا نعرفه فنؤمن به إجمالاً، وأن نؤمن بأن لله رسل أمروا بتبليغ شرع الله ولا نعلم عددهم من كثرتهم، ونؤمن برسالتهم، ونؤمن باليوم الأخر، والبعث، والنشور، وعذاب القبر ونعيمه، ونؤمن كذلك بالقدر خيره وشره ومراتبه الأربعة، العلم والكتابة والخلق والمشيئة، هذا هو الإيمان التفصيلي.

الوجه الخامس:

النبي ﷺ فَسَّرَ الإحسان بأن تعبد اللهَ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك، والمؤمن إذا بلغ هذه المرتبة وعبدَ اللهَ وهو يستحضرُ هذا المعنى فإنه سيحسن عبادةَ ربه ويأتي بها على أتمِ وجه والإحسان هو أعلى مقامات الدين المذكورة في هذا الحديث الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان .

الوجه السادس:

قوله ﷺ: (**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**): أي: يقصد بها الساعة وهذا دليلٌ على أنَّ الساعةَ عِلمها عند الله ﷻ كما هو مستقر في أدلة الكتابة والسنة، وهذا يبطل بعض الاجتهادات وبعض التحليلات ويبطل أيضاً الأخبار والآثار التي وردت في تحديد موعد قيام الساعة بالسنوات.

الوجه السابع:

قوله ﷺ: (**أن تلد الأَمَةُ ربتها**): الأَمة أي: المملوكة، أي: سيدتها، واختلف أهل العلم في تفسير هذه الجملة فقيل:

-أن تلد الإماءُ الرؤساء والملوك فيكون الملوك أبناء إماء.

-وقيل: الإشارة إلى كثرة الفتوح وجلب الرقيق حتى تكثر السراري ويكثر أولادهنّ فتكون الأم رقيق فيصير ولد الأمة بمنزلة سيدها.

وأما قوله ﷺ: (**إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاءَ الشاء يتطاولون في البنيان**)

قال ابن حجر الهيثمي في [فتح المبين]: (**أي: إذا رأيت أهل البادية الغالبُ عليهم الفقر وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة قد ملكوا أهل الحاضر بالقهر والغلبة فكثرت أموالهم واتسعت في الحطام آمالهم وتفرقت هممهم إلى تشييد المباني وهدم أركان الدين بعدم العمل بآيات المثاني**).

الوجه الثامن:

أن هذا الحديث يبين لنا أهمية تنويع الأساليب الدعوية أو الأساليب العلمية في تبيين الشريعة وذلك أن النبي ﷺ قد نَوَّعَ أساليب الخِطاب فمرةً كان يسألهم ومرةً كان يعلمهم عملياً –كالوضوء والصلاة– وفي هذا الحديث كان التعليم بطريق

السؤال والجواب والسائل يعلم ولكن يريد أن يعلم الناس فمنِ إتباع السنة تنويع الأساليب لإيصال المعلومات الشرعة إلى الناس.

قام بالتفريغ والتعديل والإضافة:

أبو عبد الرحمن الأثري

"غَفَرَ اللهُ لَهُ"

أدعوا لي بالتوفيق والفلاح والنجاح

الثلاثاء

26 شوال 1436

2015-11-8